ما هو الإرهاب ؟

الإرهاب والرهبـة والرُّهْب مـعناها : المخـافـةٌ مع التـحـرز والاضطراب ، وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم باستعمالات عدة : ترهبون ، رغباً ورهباً ، والرهبان ، والرهبة، وكلها تدور حول هذا المعنى ، بما في ذلك كلمة : الرهبان ، والراهب ، وهو الذي زرعت في قلبه مخافة الله والإشفاق منه . ومن أمثلة الكلمة في القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ . [الحشر : ١٤]

وقوله تعالى : ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ . [الأنفال : ٦٠]

وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ . [الأعراف : ١١٦]

وقوله تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ . [البقرة : ٤٠]

وفي حـديث دعـاء النوم عنه ﷺ : « اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك . . » [أخرجه البخاري ومسلم] أي طمعاً في عطائك ، وخوفاً وفزعاً من عقابك .

فالمسمى صحيح في إطلاقه على أعمال العنف التي تحدث الخـوف في القلوب ، والرهبـة في النفـوس ، والتـحـرز من الهـجـمات، والاضطراب في الأمن وفي التصرفات ، وفي ردود الفعل ، وفي حياة الناس عموماً ، ولكن الذي لا يصح فيه هو أن يؤخذ ستاراً للحرب على الإسلام ، والوقوف في وجه الدعوة ،

والمؤامرات على المسلمين ، بل إن الحقيقة التي لا مراء فيها أن الإرهاب صناعة غربية ، وملة أوروبية ، ومهنة صليبية ، وهندسة صهيونية ، وما يحدث من إرهاب فأغلبه شيء من بضاعتهم يرد إليهم .

ومن تعريفات الإرهاب أنه : ترويع الآمنين ، وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم ، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض .

وإن الرّهب والرعب والفزع والخوف سمات ملازمة لكل من حاد عن منهج الله ، وأشرك به غيره ، وتعدى حدوده ، أو كفر برسوله ، أو جار وظلم ، مهما أوتي من وسائل حفظ الأمن ، ومن مظاهر القوة ، ومن دلائل الحضارة ؛ لأن الأمن والطمأنينة الحقة صفات هانئة ناعمة لا يتذوق حلاوتها ويجد بردها إلا من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ، حينها يكون في غاية الأمن والطمأنينة النفسية ، هادئ البال ، ناعم العيش ، واثق الخطوات ، فإذا ما جمع إلى ذلك أسباب حفظ الأمن ، فقد رغد عيشه ، وعذبت مسيرته ، يقول تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ . [الأنعام : ٨٢]

ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ . [البقرة : ٢٧٧]

وقـد بين جل وعـلا أن الخـوف والرعب أمـور تظل تلقي بظلالهـا في قلوب الكافـرين، يقـول تعـالى : ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، والرعب هو الامتلاء خوفاً وفـزعـاً ، وهو من جنود الله تعـالى لعبـاده المؤمنين ضـد أعـدائه الكافرين ، يقول ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

[أخرجه البخاري ومسلم]

ومما تجـدر الإشـارة إليـه أن هنالك أسـسـاً هامـة ، وركـائز عظيمة ، إذا وجدت في حياة الأمم فإنها تقوى ، وتعز ، وتزدهر ، حتى ولو كـانـت كـافـرة ، وأهـم تلك الأسس ، بل هو عـمـادها : العدل ، فإنه خلق كريم عظيم يسهم في الحياة الهادئة في الدنيا لأي أمة ، فإذا كانت أمة مسلمة فازت بخيري الدنيا والآخرة ؛ ولذلك فنحن نرى اليوم دولاً تتقدم وتزدهر ، وتشكرها البشرية جمعاء حينما تقيم صروح العدل والديموقراطية ، وتحترم حقوق الإنسـان . . أما الظلم فهو الذي يقوض الدول ، ويهدم القوى ، ويستمطر الغضب ، وإن الله يجيب دعوة المظلوم حتى ولو كان كافراً .

وإنني أستخدم كلمة الإرهاب هنا وأنا أقصد بها إرهاب المؤمنين ، وتخـويف الآمنين، وهتك حـرمـة المعـاهدين ، واستهداف الأبرياء ، وتشويه سمعة الدين ، والتهور الذي يورث المحن ، ويسـبب الفتن . . أقـصـد بهـا كل أعـمـال العنف التي ترتكب باسم الإسلام ، وتجر المسلمين إلى كـهـوف مظلمـة ،

ومتاهات معتمة ، وتستعدي عليهم العالم، وتجلب لهم العنت .

أقصد بها كل أعمال الاعتداء والظلم على الناس التي يحرمها الدين ، أما إرهاب الآخرين لنا ، وخصوصاً الإرهاب الدولي المنظم والموجه ضد المسلمين في كل مكان ، فليس هنا مجال بحثه ، ولا الحديث عن حصاده ، ولا بيان مآسيه .. إن الإرهاب على المسلمين يتطلب الحديث عنه مجلدات كثيرة ، إنه كبير كبر عداوة الأعداء ، طويلٌ طول تاريخ كراهية الحق ، وإن المسلمين في هذا الزمن تجرعوا غصص الإرهاب من جهات عدة ، الإرهاب الشيوعي ، والإرهاب الهندوسي ، والإرهاب الديكتاتوري ، ولكن أشدها خطراً ، وأمضّها ألماً ، وأعظمها فتكاً : الإرهاب الصليبي الصهيوني ، إنه إرهاب تكاد تنشق له الأرض وتخر الجبال هدّا ، إنه وصمات عار في تاريخ البشرية ، تأباه النفوس القويمة ، وتمجه الأديان ، وتنكره العقول .. إنه جبال من الأشلاء الممزقة ، وبحار من الدماء المسفوكة ، وأنهار من الدموع الحارقة ، وآلاف من السجلات المؤلمة ، أمراض ، أوبئة، تجويع ، فقر ، حرمان ، كبت ، تعسف ، ظلم ، اعتداء ، كيد ، إهانة ، إحتقار ، وكل ما تحويه المعاجم من أمثال .. هذه الكلمات قد تجرع المسلمون من غصتها من أعداء الحق ، وخصوم الإنسانية ، وسدنة الظلم ، وصانعي الإرهاب ، لا لذنب جنوه ، ولا خطأ ارتكبوه إلا أنهم قالوا : ربنا الله ، وأنهم أسعدوا البشرية بعلمهم وحلمهم ، وحضارتهم أكثر من ألف عام .

ألف عـــــام والدهر مُـــــصْغٍ إلينا
ومـــــبـــــاهٍ بنا ومـــــرخي العنانِ
ألف عـــام تفـــيـــأ الكون فـــيـــهـــا
ظل عـــدلٍ وأمنيـــات حِـــسَـــانِ
ألف عـــام من عـــزَّةٍ وفـــتـــوحٍ
هي ســـــر الحـــيـــاة للبلدان
ألف عـــام ونحن قـــصـــة مـــجـــدٍ
ورُقـيٍّ فـي كـل عـلـم وشـــــــان
طرب الكون للعلى والتـــســـامي
والتـــواصي بالفـــضل والإحـــســـان

إن مذبحة واحدة فقط للمسلمين في البوسنة على أيدي الصرب الحاقدين المجرمين كان ضحيتها خمسة آلاف مسلم ما بين شيخٍ مسن ، وعجوز مقعدة ، وأرملة منقطعة ، وطفل بريء، فلم يغضب لهم أحد ، ولم ينتقم لهم أحد ، أضف إليها المذابح الشيوعية للمسلمين في روسيا وفي أفغانستان والشيشان، أضف إليها المذابح الأمريكية المخزية التي رآها العالم كله في أفغانستان والعراق ، أضف إليها مذابح اليهود المذهلة للمسلمين ، أضف إليها المذابح والمهالك والمؤامرات في شتى أنحاء العالم ، والتي كثير منها برعاية المتبجحين بالسلام .

ولو تفرغ عدد من الكتاب والعلماء والخبراء للحديث عن حصاد الإرهاب على المسلمين وبيان آثاره وتاريخه وثماره ، لرأينا من ذلك ما يشبه الخيال ، مما يعتبر السبب الأكبر لردات

الفعل ، ومحاولات الانتقام ، وهجمات الإرهاب التي لا تتجاوز القطرات بالنسبة للبحر الخضم .. ومع ذلك فالإرهاب في الإسلام مرفوض ، والاعتداء محرم ، والظلم ممنوع ؛ لأن ذلك كله فساد في الأرض والله لا يحب الفساد .

إن تلك النفوس التي تتبجح بالعدل ، وتتغنى بالسلام ، ما هي إلا أقوال تناقضها الأفعال ، وشعارات تفضحها الممارسات ، إنها النفوس التي لن تجد أبدع ولا أصدق من وصف القرآن الكريم لها : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾ . [البقرة : ٢٠٥]

ولك أن تتخيل لو أن كرامة المسلمين محفوظة ، وحقوقهم مصانة ، وبلدانهم محررة ، ومقدساتهم آمنة ، يعامَلُون بالعدل ، ويُقَابلون بالإحسان ، ويواجهون بالاحترام ، لا يُنال من دينهم ، ولا يُتدخل في حرياتهم ، هل كانوا يحملون الكراهية ، أو يضمرون العداء ، أو يتعمدون الإساءة ؟ إنهم الآن يعتبرون في قمة الصبر والتحمل والمثالية وضبط النفوس ، رغم كل ما يحل بهم ، وما يلحق بشعوبهم ، انظر إلى مثاليتهم في مواقفهم وتعاملهم مع الدول والشعوب التي لم تؤذهم ، ولم تظلمهم ، ولم تعتد عليهم من غير المسلمين ، إنهم يجدون من المسلمين المعاملة بالمثل ، بل الأفضل والأجمل ، وكما تدين تدان ، ومثلما تزرع تحصد .

بل إن كراهية المسلمين وسخطهم ليس لرعايا هذه الدول

الظالمة ، إنه عداوة وكره للسياسة الجائرة ، وللحكومات المتطرفة، وإلا فإن الشعوب الغربية فيها نسبة كبيرة منصفة محبة للعدل ، متعاطفة مع الحق ، بل في داخل إسرائيل من هو ناقم على سياساتها ، متمرد على أحكامها ، منكر لظلمها .

إن علاقة المسلمين بالشعوب الغربية علاقة احترام متبادل ، وتفاهم مشترك ، ومعاملة بالحسنى ، وإننا كمسلمين نقدر كل التعاطف الصادق ، والمواقف العادلة التي تتبناها كثير من الشعوب ، حيث تقف في وجه سياسة بلدانها الجائرة ، وتعلن الرفض ، وتقيم المظاهرات ، وتطالب بالعدل ورفع الظلم عن المقهورين من المسلمين وغيرهم ، أولئك ليس في قلوب المسلمين لهم حقد ، ولا يضمرون لهم العداء ، بل يشكرون لهم صنيعهم، ويحترمون فيهم إنسانيتهم ، بل ونأسف غاية الأسف، ونتألم ونحزن لما قد يُرتكب ضدهم من أعمال إرهابية ، وتصرفات عدائية ، وإن هذه الأخلاق الراقية ، والمثل السامية في تعاملنا مع الآخرين ليست شيئاً جديداً ، ولا آداباً عصرية تمليها ظروف المرحلة ، بل هي أخلاق أمرنا بها الله ، وضرب المثل الأعلى فيها رسوله ﷺ ، ومضى عليها المسلمون على مرّ العصور ، فإن شعوباً ودولاً كثيرة إنما دخلت في الإسلام بحسن تعامل المسلمين .

يقول تعالى : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ . [الممتحنة : ٨]

إن هذا الدين لم يأمرنا فقط بحفظ حقوق النفس الإنسانية وعدم التعدي عليها ، بل أمرنا بحفظ حياة القطط والبهائم والحيوانات ، ورتب أشد العقاب على تعذيبها وإيذائها أو تحميلها ما لا تطيق .

obeikandl.com